العادات والتقاليد لدى مجتمع أبناء الطوارق في الصحراء الكبرى

Customs and Traditions of The Tuareg Community in The Sahara

أ. إياد يونس عريبي

كلية التربية، جامعة بغداد، العراق، تاريخ حديث

أ.د.عفراء عطا عبد الكريم الريس

كلية التربية، جامعة بغداد، العراق، تاريخ حديث

ملخص:

تمثل العادات والتقاليد مجموعة من السلوكيات والطقوس التي تتوارثها الأجيال، وتؤدي دورًا مهمًّا في حياة المجتمعات، فبعضها مفيد للمجتمع مثل: التعاون بالأفراح والأحزان، وبعضها مضر مثل الخرافات والشعوذة والعصبية القبلية، جاءت عادات الطوارق لمصارعة الطبيعة والتأقلم معها؛ إذ كانت أشعارهم وأغانيهم وقصصهم ذات مساس بالمجتمع، أما مناسباتهم سواء أكانت احتفالات أو أعياد أوأعراس ذات طابع خاص درج عليها الطوارق، أما ألبستهم ولثامهم، فإنها جاءت لتلائم الطبيعة الصحراوية، أما السحر والجن والطب الشعبي جاء ليعالج بعض الأمور الاجتماعية والبدنية والنفسية، ومجتمعهم مقسم طبقيًا.

الكلمات المفتاحية: قبيلة الطوارق عاداتهم وتقاليدهم وما تتضمنه شعر وغناء وموسيقى وأعيادهم وأزياؤهم وطبقاتهم الاجتماعية وتأثير السحر والجن والطب الشعبي في حياتهم.

Abstract:

The customs and traditions represent a set of behaviors and rituals that are inherited by generations and play an important role in the life of societies. Some of them are beneficial to society، such as co-operation with joys and sorrows، some harmful، such as superstition، witchcraft and tribal nervousness. Their customs came to wrestle with nature, and their stories and songs were harmful to society. Whether they were celebrations or holidays or weddings of a special nature drawer Tuareg, but their clothes and their time they came to suit the desert nature, while the magic and the department of folk medicine came to address some of the social, physical and psychological, and their community divided class.

Keywords: Tuareg tribe, customs and traditions, including poetry, singing, music, holidays, costumes, social layers, magic, folklore and folklore.

مقدمة:

يتصدى هذا الموضوع لتقصي العادات والتقاليد لدى مجتمع الطوارق من خلال دراسة تاريخية لطوارق الصحراء الكبرى، والتركيز على النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبواكير القرن العشرين لكون هذه الفترة شهدت العديد من التحولات بتأثير التواجد الأجنبي في هذه الأصقاع، وجل تاريخهم هو تاريخ شفوي، المصطبغ بالجهل وانتشار العادات الوثنية بينهم، وقد تتبع هذا البحث أهم إشكالية وهي حالة البدائية والانغلاق على الذات لدى هذه القبيلة بحكم ابتعادها عن أغلب مظاهر التوطن والتمدن، وقد قسم البحث إلى عدة محاور.

١- الشعر والغناء ومدلولاته الاجتماعية والسياسية:

تصدى الشعر لعدة مواضيع مثل: الشجاعة والكرم والنبل والإباء، ويتم تناقله شفهيًّا من جيل إلى جيل، فهم لا يستخدمون الكتابة سوى في الأمور الضرورية مثل عقود البيع والشراء[١]، كما أن الطبول لها استخدامات؛ إذ لا يضرب طبل(Ettebel)[٢] الأمنوكال، إلا في بعض المناسبات الخاصة مثل استقبال شخصية مهمة، كما ويقرع في الحروب بأيدي النساء[٣]، تتسم الآلات الموسيقية عند الطوارق بالبساطة، ومثال ذلك آلة الأمزاد ذات الوتر الواحد التي تعد الآلة الأساسية عندهم، أما رقص الرجال، فهو حركات تعبيرية ذات جذور قديمة تتصل بالسحر وتختلط بعادات وثنية [٤].

وقد قام الراهب شارل دي فوكو بجمع كم كبير من الشعر؛ إذ استقى معلوماته من اشهر شعراء الطوارق وهي (داسين)[٥]، كما تداول الطوارق القصة في مجالسهم، ومعظم القصص التي تحكى شخصياتها حيوانات[٦].

٢- الاحتفالات والأعياد وظروف انعقادها:

بعد أن يبلغ الطارقي شابًا كان أو فتاة عمر السادسة عشرة من العمر، يصبح من حقه حضور حفل الآهال، وتعني كلمة آهال محادثة أو مقابلة، ويعد امتدادًا لحفل

الزهار الموسع، وهو عبارة عن اجتماع كبير يضم الرجال والنساء حول فتاة تعزف الأمزاد، وتشدو بأغاني الحب، وتتخلل الحفل بعض النكت والشعر، حتى أوقات متأخرة وغالبًا ما يكون فرصة لاختيار العروس المناسبة، ويأتي الشباب لهذا الحفل من مسافات بعيدة، وهو نوع من مجالس الحب [٧].

يحتفل الطوارق كبقية المسلمين بعيدي الفطر والأضحى، إذ يجتمعون خارج الحي صباح العيد، وقد لبسوا كامل زينتهم في انتظار السلطان والإمام الذي يتقدم ويقرأ الخطبة، وفي عيد الأضحى يذبحون أضاحيهم ويتصدقون بجزء منها على الفقراء، كما يحتفل الطوارق بالمولد النبوي ويجلسون على شكل حلقات بمدح الرسول(ص) ترافقها قصائد وأشعار بالمناسبة، وتناول الحلوى[٨].

بعودة الحاج من الديار المقدسة، يتم الاحتفال بهذه المناسبة السعيدة واستقبال المهنئين، وتتشابه أجواء الفرح والرقص والغناء والمسابقات الرياضية في احتفالهم الموسمي السنوي الذي يعرف باحتفال الخريف، ويتم خلال هذه الاحتفالات تبادل الهدايا بين الزعماء، كما يحتفل الطوارق بمناسبة تنصيب السلطان عند انتخابه[٩].

أما مراسيم الوفاة في المجتمع الطارقي فتقام على الطريقة الإسلامية، ويستقبلون نبأ الموت بالبياض إعلانا بالرضى بقضاء الله تعالى وقدره، ومن المفارقات تقام مجالس العزاء لمدة ثلاثة أيام وبعدها تقام الأفراح عندهم[١٠]، أما مراسيم المولود والختان تقام باحتفالات وذبح ذبائح، ويلبس أطفالهم قمصانًا بيضاء، ويكون الختان في فصل الشتاء لاعتدال الجو[١١].

٣- اللثام ودواعي استعماله:

اللثام هو قماش مطلي (بالنيلة)[١٢]، ويكون لونه لدى النبلاء أسودًا يميل إلى الزرقة، وعند الفئات الأقل أبيض[١٣]، وقد ذكر ابن عذارى بأن الخاصة من حمير يتلثمون لشدة الحر أو البرد ثم تلثم عامتهم[١٤]، يوضع على الأنف وما حوله، يضعها

الرجل دون المرأة، يستر به وجهه ما عدا العينين ويلف جزءًا كبيرًا منه على رأسه، ومن فوائده قيل يمنع مشاهدة المناظر غير اللائقة، ويمنع اللسع واللدغ، كما يتخذ كفنًا إذا مات صاحبه في الصحراء، فضلا عن، كونه رمزًا للأنفة والسيادة، كما يستخدم للتحلي بالوقار والمهابة، كما استخدم اللثام لسهولة التخفي أثناء الحروب [١٥].

كما يستعملونه ليحولوا دون خرافة اتصال الأرواح الشريرة بنفوسهم عن طريق الفم والأنف، فالرجل يلبس اللثام ابتداءً من سن البلوغ، ويقام احتفال بهذه المناسبة[١٦]، لو كان يمنع يمنع دخول الأرواح، فلماذا يلبسونه عند سن البلوغ؟ ولو كان يمنع لألبسوه للأطفال، كما أن النساء لا يلبسن اللثام، فكيف تقي النساء نفسها إذن هذه الآراء ضعيفة؟، أو معتقدات خرافية لدى الطوارق.

من المحتمل أن التلثم لأسباب دينية قديمة انتهت الآن[١٧]، وطريقة لبس اللثام تدل على مدلولات معينة، فإذا تدلى على الجبهة وأخفاها فهذا يدل على حزن أو على استحياء، أما إذا رفعه قليلًا عن الجبهة فهذا يدل على الفرح[١٨].

وبناءً على كل هذه الآراء التي طرحت في أصل اللثام فإن من الصعب اختيار سبب واحد لأصل لبس اللثام[١٩]، وعلى العموم يمكن إجمال كل هذه الآراء بأنها أسهمت في رسوخ عادة التلثم، فمنها الواقعي ومنها الخرافي.

٤- أزياؤهم ومكوناتها:

لباس الرجال والنساء أكسية الصوف، ويحتزمون في أوساطهم بمآزر صوف، ويسمونها أسفاقس، ويرتدون فوقها الأكسية التي تسمى المعلة، وملابس الطارقيات بسيط وهن لا يميلن الى الألوان الزاهية البراقة ولا يلبس من الحلي إلا القليل[٢٠]، ومن ألبستهم قميص وفستان قصير وجرد يستعمل لحافًا يوضع على الرأس والكتفين أثناء البرد وهبوب الرياح، فضلًا عن، ارتدائهن خفًّا أو حذاء حسب الرغبة [٢١]، أما رجالهم فلباسهم سروايل فضفاضة سوداء أو ذات لون أزرق غامق مصنوعة

من القطن تنزل حتى الركبة وفوقه قميص واسع[٢٢]، أما الفضة فهي مفضلة لديهم على الذهب التي تعد مهر المرأة وزينتها تصنع بأشكال مستمدة من بيئة الصحراء[٢٣]، أما غطاء الرأس فيسمى (الشو) وهي العمامة الأكثر انتشارًا تلف حول الرأس، وألوانها متعددة، ويفضل اللون الأبيض[٢٤]، وأما النساء فيلبسن في الصيف نوعًا من القبعات واسعة الحواشي مخروطية الشكل مصنوعة من القش[٢٥].

٥- معتقدات الطوارق وطرق التداوي بالطب الشعبي

٥-١- معتقدات الطوارق بالسحر والجن: يعتقدون بالسحر اعتقادا جازما، والسحر عندهم على نوعين سحر نافع وسحر ضار، فالنافع يستعمل لخير الجماعة والفرد، مثل جلب المطر اما الضار فهو الحاق الاذى مثل العقم بالنساء[٢٦]، ولا يتركون خلفهم اي شيء لتلافي استخدمها من قبل السحرة [٢٧]والسبب في انتشار هذا الاعتقاد بالسحر يعود لعادات وثنية لم يستطع الاسلام استئصالها[٢٨].

يعتقدون ان للجن سلطنات ومشيخات، وقد نسجت الكثير من الخرافات حولها ويعتقدون ان الجن هو السبب في اصابتهم بالأمراض، فضلا عما يصيب حيواناتهم[٢٩]، ومن خرافاتهم هو ارتباط كل تل بشيء ما خرافي اسطوري[٣٠]، كما يحصن الطوارق انفسهم من الحسد بالاعتماد على معتقداتهم الشعبية، اذ اثناء عملية ختان الاطفال يتم الباس الصبي طاقية يعلقون عليها قرن غزال تجنبا للعين والحسد، ويستعملون التمائم للوقاية من العين الشريرة[٣١].

٥-٢- الأعشاب والطب الشعبي وطرق التداوي:

يصاب الطوارق بالعديد من الأمراض بسبب الغبار وارتفاع درجات الحرارة وسوء التغذية، ومن هذه الأمراض أمراض العيون التي يعالجها الطوارق بالكحل[٣٢]،

كما يعالج السعال الديكي الذي يصاب به الأطفال عن طريق إدخال الطفل في الرمل الساخن، أو عن طريق لحم الأرنب البري الذي يطهى تحت الرمال الساخنة، ثم يحرق ويقدم للطفل[٣٣].

أما مرض (تقنوت تنوت) هو مرض يصيب القلب، يعالج بالملح والحليب اللذين يغليان معا وتقدمان ليشربهما المريض، أما حالات الشد العضلي فتعالج بالحجامة، التي تسهم في خروج الدم الفاسد، كما وتستخدم أوراق شجرة (أقاد يصخترن) بعد طحنها لعلاج الكسور بعد وضعها على مكان الألم وتشد برباط، فضلًا عن استخدام حبوب شجرة (منمطى) بعد وضعها مع الشاي والحليب كشراب لعلاج الكسور، وتستعمل عشبة (أقسور) لعلاج مرض الصفير، وعشبة (أغلاشم) لعلاج الزكام، وعشبة (أجرجر) لعلاج الإمساك ونبات (الديس) لعلاج العين، فضلًا عن، علاج المفاصل والشلل بالينابيع الساخنة[٣٤].

كما يستعملون لحم الذئب لعلاج الزهري، أما الجدري فيعالجونه بواسطة (الملة)، وهي حفرة تغطي جسمه بالرمال الساخنة، ويعالجون الحصبة بأكل لحم الآرانب أو لحم الغزال أو الضأن، كما يستعملون لعلاج الأسنان عدة أعشاب وبطرق مختلفة[٣٥]، ولب الخردل كعلاج لأصابعهم وأيديهم المتورمة [٣٦].

أما أمراض البرودة والصدر والزكام، فيعالج بالطريقة الآتية، إذ يطهى رأس الغنم في قدر مع الفلفل والبصل الجاف، ويطبخ على شكل حساء ويقدم للمريض، أما عن أمراض المعدة والأمعاء والبطن فيستخدمون لمعالجتها التمر والماء، ولعلاج الاضطرابات في الجهاز الهضمي يستخدمون الجراد المجفف والمضاف إليه التمر مع قليل من الماء يقدم كشراب للمريض، أما الصرع يقيمون للمريض حفلات ورقصات ترافقها موسيقى صاخبة تبث في المريض هيجان وهستريا جراء

تلك الحركات التي يقوم بها، إلى أن يسقط المصاب على الأرض [٣٧]، هذه الأمراض وغيرها سببها حياة الفقر والتخلف.

٦- طبقات المجتمع الطارقي بين الهيمنة والاستغلال:

مجتمع الطوارق مقسم إلى عدة فئات يتحكم فيها النسب والثروة التي تكون مركز قوته الأساسية، علمًا أن هناك أشخاص ينحدرون من نسب واحد، لكن يحتلون فئة أقل بسبب عامل الثروة، في حين تبقى الفئات الدنيا تمارس المهن الوضيعة[٣٨]، إن مجتمع الطوارق هو مجتمع قبلي، يخضع للشيخ الذي يقوم بدور الحاكم والقاضي فيها، يساعده في ذلك عدد من كبار السن[٣٩]، ولكل قبيلة مساحة من الأرض (مضارب) تمتلكها وتنتقل في إطارها، وتعد وطنها الخاص تمارس فيه نشاطها الرعوي، وقد تضطر لمغادرة نطاقها بسبب الجفاف أو وجود عدو[٤٠]، أدناه طبقات المجتمع الطارقي التي سنتناول حقوق وواجبات كل طبقة:

أ-**طبقة النبلاء (اهقارن)**[٤١]: تتكون هذه الفئة من أولئك الذين يتمسكون بالعادات والتقاليد الطارقية العريقة، والذين يبرزون أنفسهم ويفرضون شخصيتهم على الآخرين، ويكون السلطان وشيخ القبيلة من هذه الفئة، وهم لا يقومون بأي أنشطة ولا يهتمون بالتعليم ولا بأي نوع من الثقافة، وإنما يقتصر نشاطهم على دعوى سيطرتهم على الطبقات الأخرى وتوظيفها لخدمتهم[٤٢]، احتفظوا بشخصيتهم ونقائهم الجنسي[٤٣]، وهي فئة محاربة لها ثقلها، ويطلق عليها فئة الأحرار والأسياد والأشراف، الذين يتصفون بقوتهم وشجاعتهم وحرياتهم التي كما يعرفون بالصبر والثبات وحبهم للعزلة والاستقلالية[٤٤].

ومن أعمالهم هو الرعي والترحال، بحثًا عن الكلأ والعشب، ويقطعون مسافات طويلة في سبيل ذلك[٤٥]، ويقتصرون في غذائهم اليومي على عدة تمرات أو خبز

من الدقيق[٤٦]، كما إنهم يختصون بحماية وتأمين الطرق التجارية للقوافل، التي تدفع لهم الضرائب والأتاوات مقابل المرور على أراضيهم[٤٧].

لهذه الفئة سلبيات منها أنهم يتسللون ليلًا على المخيمات المجاورة لغرض سرقة أملاكهم، فلقبوا حينها بقراصنة الصحراء[٤٨]، ولولا القحط والجراد الذي ينتشر في المنطقة، والفقر الشديد لما استولى الطوارق على أملاك غيرهم[٤٩].

في نهاية كل موسم زراعي يتجه النبلاء صوب الأراضي الزراعية المنتشرة بجانب الأودية والأنهار، ليأخذوا حصتهم من المحصول[٥٠]، ونتيجة لمعرفة فئة النبلاء لطرق الصحراء، اعتمد عليهم الفرنسيون في الحملات الاستكشافية[٥١]، توجد فوارق بين النبلاء والأتباع تظهر في العادات الاجتماعية مثل طريقة الأكل وركوب المواشي ونوع الأغذية[٥٢].

ب- فئة إمغاد (Imghad)**:** تعني تسميتهم أصحاب الماعز ومن واجباتهم دفع الضريبة كل عام للامنوكال، والمساهمة بصورة أساسية في كل حروب الطوارق لكونهم محاربين أشداء[٥٣]، يرتبط الإمغاد بالقبائل النبيلة لخدمتها[٥٤] يكتفون بالاستضافة ورعي مواشيهم، وبعض أعمالهم حرفة الصيد خدمة لأسيادهم النبلاء، حيث يأخذهم السلاطين مرافقين لخدمتهم [٥٥].

ومن الأسباب التي وضعتهم في الفئة الثانية، هو زواج الطوارق النبلاء من نساء العبيد الجواري، وهذا ما حط من شخصيتهم وجعل نبلاء الطوارق لا يعترفون بهم رغم أنهم طوارق[٥٦]، ومن سجاياهم الحسنة هو الكرم والعناية بمن يلجأ إليهم، وهم لا يهابون السلطان بكلمة الحق، كما أنهم يعملون بالتجارة[٥٧]، وقد أسهم الجيش الفرنسي في ربط علاقات مع هذه الفئة بدل النبلاء لضمهم إلى صفوفه[٥٨]، وتفسير هذا العمل هو لإثارة النزاع بين فئات المجتمع الطارقي.

كما استخدموا لخدمة اقتصاد فئة النبلاء؛ لأنهم يوفرون لهم الحبوب والقمح والزبدة والحليب[٥٩]، وعند تنظيم غزوة على بعض المناطق المجاورة، فان قسطًا مهمًّا من الغنائم يعود لفئة النبلاء[٦٠].

ظهرت فئة وسطية في المجتمع الطارقي بفعل زواج رجل من الإمغاد، بامرأة تنتمي إلى فئة النبلاء، فيكون أبناؤهم فئة مختلطة، وتسمى بمجموعات ايساكيمارن (Issekkemarn) أو اريكيناتن (Irreguenaten)، وهي مجموعات توجد في جميع السلطنات الطوارقية، ومن الناحية الاجتماعية فأنها تكون في الوسط بين إمغاد والنبلاء، وهي تعيش في وضع أكثر حرية من الإمغاد[٦١]، وهذا نوع من المرونة في نظامهم شرق الارتقاء المادي والنسبي.

ت- **طبقة الفقهاء** (Ineslemen): وتعني المتدينون، أو أصحاب الإسلام، وهم المثقفون بثقافة إسلامية، ويحفظون القرآن عن ظهر قلب، وهم من فئة النبلاء[٦٢] وهم ليس لهم أي علاقة بالحروب وتخصصهم الوحيد هو الدين[٦٣]، مما جعلهم فئة مستقلة، وبما أن سكنهم قرب المسجد الذى أطلق عليهم كل تيمسجيدا (Kel Timisgida) أو المرابطون، وهم يدفعون الضريبة للامينوكال، ويستقبلون الهدايا من الطبقات الأخرى، ولهم الحق بامتلاك العبيد، ومن واجباتهم هو تربية القبيلة دينيًا[٦٤]، وفي بعض الأحيان يلجأ الطوارق لهذه الفئة لحل نزاعاتهم والبت في الخصومات أي أشبه بالقضاة[٦٥]، وقد انتعش دورها بوضوح خلال اندلاع التمردات والثورات ضد الاحتلال الفرنسي، وازداد نفوذهم وديناميتهم مع استمرار المقاومة[٦٦].

ث- **الحرفيون الاينادن** (Inadan): وهم الذين يقومون بمختلف الحرف مثل الحدادين وحرفيو الخزف وحرفيو الخشب والجلود، مهمتهم صناعة كل ما يحتاج إليه الطوارق من أسلحة وأوانٍ منزلية وسروج الجمال ومختلف احتياجات القبيلة من العدد اليدوية، أما بالنسبة لأصولهم، فإن أصلهم غامض، فهم ليسوا من الطوارق،

ويذكر الطوارق روايات أسطورية في أصلهم[٦٧]، والحرفيون متعلقون بأسيادهم، لكنهم ليسوا من العبيد؛ إذ يؤدون أحيانًا لدى النبلاء دور أمين السر والمستشار السياسي[٦٨]، وقد اعتمد الفرنسيون على هذه الفئة عند إجراء الإحصاء؛لأن من عادات الطوارق لا يذكرون إطلاقًا أسماء آبائهم[٦٩].

وجميع سكان الصحراء يخشون السنة هؤلاء الحرفيين، فهم لا يحفظون سرًّا وثرثارون[٧٠] كما أنهم يقومون بممارسة مهنة طب الأسنان واقتلاعها فضلًا عن الحلاقة[٧١]، وإذا مر شخص على فئة الحرفيين، فإنه يغلق أُذنيه خشية أن يسمع غناءهم؛ لأنها تجلب الحسد والعقم للنسوة؛ لاشتهارهم بأعمال السحر والشعوذة ومن أعمالهم هو القتال، لذلك تم إعفاؤهم من الغرامات[٧٢]، الطوارق يرون في الحرفة اليدوية بأنها مستهجنة ولا تليق بهم، فهي من عمل العبيد[٧٣].

ج- **العبيد والموالي** (Iklan): هم ليسوا أقارب الطوارق، وهم طبقة كبيرة عملها الأساس هو في خدمة المنازل والقيام بالزراعة والحراسة والتزود بالماء ومختلف الأنشطة الخدمية، على أن يقوم السيد بالتكفل بإطعامهم وألبستهم[٧٤].

لغرض تلافي تعدد الزوجات لدى الطوارق، عند سفر الطارقي يصطحب معه جارية لخدمته أثناء السفر، كما لكل نبيل أو غني عبد يكون مقربًا له يضع فيه كامل ثقته، والمرأة النبيلة كانت تشرف على الخدم فقط[٧٥]، يتم الحصول على العبيد عن طريق أسرهم في الحروب، أو شرائهم، أو جلبهم من مختلف مناطق الصحراء، وأسعارهم حسب قوة العبد ودرجة جماله[٧٦]، يمكن للعبد أن يتزوج بموافقة سيده، ولكن بعد وفاته، فإن أولاده وكل ممتلكاته تكون في ملكية السيد[٧٧]، يستطيع العبد أن يحصل على حريته ويدعى حينها بايدارفان (Iderfan) والايغاوالن (Ighawallan)[٧٨]، شرط أن يترك ديار أسياده وينتقل إلى مكان آخر ليأخذ حريته ويشكل قبيلة جديدة [٧٩].

ومن فئات العبيد الأخرى هم الحراطون وتعني الحر الثاني أو الحر الطارئ، وهم العتقاء الذين نالوا حريتهم، وهم خبراء بشؤون فلاحة الأرض واستخراج المياه(٨٠)، البناء الطبقي للطوارق هو نظام مرفوض لأن الإسلام أراد العدل والمساواة دون استغلال أو ظلم.

خاتمة:

من جملة ما توصلت إليه هذه الدراسة هو أن الفولكلور الشعبي لهذه القبيلة يتسم بالبساطة التي هي سمة الحياة في هذه الأرجاء، ومجيء الاستعمار الأجنبي أدى إلى تغيرات مست البناء الاجتماعي التقليدي للطوارق، إذ تغير الكثير من الحقوق والواجبات، وجهت فرنسا ضربة موجعة لمنصب الامنوكال، عن طريق منع دفع الضرائب التي كانت تمنحها القبائل للامنوكال، في الختام يمكن القول أن تاريخ الطوارق هو تاريخ مليء بالألم والحرمان ومكابدة الطبيعة القاسية، إضافة إلى الأذى الذي جلبه الاستعمار لهذه المنطقة، توصي هذه الدراسة بحث هذه القبيلة على التعليم، والاهتمام بمدنهم ومراكزهم التعليمية، وفتح مراكز لمحو الأمية وتعليم كبار السن بعض السلوكيات مثل النظافة وتعاليم الدين الإسلامي، والحذر في معاملتهم كأقلية، والحفاظ على هذا الموروث الشعبي وإنشاء مؤسسات قائمة على جمع هذا التراث وتوثيقه.

الهوامش

١- حفناوي بعلي، صور الصحراء ورجال الطوارق في كتابات جان ماري لوكليزيو، المعرفة (مجلة)، العدد٥٤٨، دمشق، أيار ٢٠٠٩، ص١٤٥-١٤٦.

٢- الطبل: يتكون من تجويف خشب مخطى بجلد بقرة بيضاء دون أدنى علامة أو شائبة فيه مع قبضتين من الجلد معلقتين في كل جهة من الطبل لحمله، وقد يوضع بداخله تعويذات مرابطية ويربط الطبل في المخيم أو المعسكر. ينظر: محمد قبيسي، شعوب وتقاليد، ج١، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، ١٩٩٥، ص١١.

٣- حفناوي بعلي، المصدر السابق، ص١٤٦-١٤٧.

4-E.Bernus, Maladies Humaines Et Enimales Chez Les Touaregs Sahéliens, Journal Des Africanistes, N. 39-1, 1969, P.123.

٥- جرجس القس موسى, شارل دي فوكو رسول الأخوة الشاملة، منشورات المطبعة الكاثوليكية، بيروت، الموصل، ١٩٦٨، ص٢١٤-٢١٥.

6 -H.Bissuel, Les Sahara Français, Imprimeur Editeur Librairie Adolphe, Alger , 1891, P.183; Henri Basset , Essai Sur La Literature Des Berbéres , Awal lbis Press , Paris , 2001 , PP.221-223.

٧- نسيم خلال، البناء اللحني والإيقاعي للأغنية الفولكلورية القبائلية في الجزائر، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية التربية النوعية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٥, ص١٦-١٧؛ حفناوي بعلي، المصدر السابق، ص ١٤٠-١٤١.

٨- الهادي المبروك الدالي، قبائل الطوارق دراسة وثائقية، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط١، ٢٠٠٦، ص٣٢٤-٣٢٥.

٩- همام هاشم الألوسي، الطوارق الشعب والقضية تاريخًا منسيًا وحاضرًا مقهورًا ومستقبلًا مجهولًا، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط١، ٢٠١٠، ص١٩٩-٢٠٠.

١٠- الهادي المبروك الدالي، المصدر السابق، ص٣٢٦.

١١- عبد القادر جامي، رحلة من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى، ترجمة محمد الأسطي، دار المصراتي، طرابلس، ١٩٧٤، ص١٨٨.

١٢- النيلة: هو صبغ أزرق يستخرج من نبات النيل، تتخذها المرأة الطارقية للزينة وللحماية من برد الصحراء وحرها، ويقال إن لها أثرًا إيجابيًا على البصر، ويستخدم لصبغ ثوب المرأة ولثام

الرجال، ويستخدم لصبغ بقية الأغطية والألبسة، وسبب استخدامهم لهذا اللون؛ لأنه كلون السماء. ينظر: محمد السعيد بن سعد، المصدر السابق، ص٢٠٨–٢٠٩.

١٣– س.ج. سليجمان، السلالات البشرية في إفريقية، ترجمة يوسف خليل، مكتبة العالم العربي، القاهرة، ١٩٥٩، ص١٣١.

١٤– ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج٤، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣، ص١٢٨.

15- Henri Lhote, Les Touaregs Du Hoggar(Ahaggar) , Editions Payot , Paris , 1955 , PP.328-366; فؤاد شاكر، حصاد القرن العشرين صور وطرائف، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٣، ص٣٢؛ محمد السعيد بن سعد، المعممون والملثمون يحاورون يحاورون الصحراء (الهقار وتديكلت أنموذجًا)، الواحات للبحوث والدراسات (مجلة)، العدد١٥، غرداية، ٢٠١١، المصدر السابق، ص٣٢.

16 -Jeremy Keenan , The Lesser Gods Of the Sahara , Library Of Congress Publication, London , 2004, P.97.

١٧– روسيل وورين هاو، تاريخ الإسلام في غرب أفريقيا، ترجمة عبد الوهاب محمد الزنتاني، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٩، ص٤٨–٤٩.

18-H.Foley, Moeurs Et Medicine Des Touareg De l'Hoggar , Librairie Ernest Leroux, Paris, 1930, P.25.

19- Henri Duveyrier , Les Touaregs Du Nord , Editeur Challamel Ainé Libraire Ē diteur , Paris , 186 4, p.391.

٢٠– نجوى شكري مؤمن وسلوى هنري جرجس، التراث الشعبي للأزياء في الوطن العربي، عالم الكتب نشر توزيع طباعة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤، ص٢٢٥–٢٢٩.

٢١– جيمس ريتشاردسن، ترحال في الصحراء، ترجمة الهادي مصطفى ابو لقمة، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٣، ص ٤٣٢؛ عبد القادر جامي، المصدر السابق، ص١٧٠.

٢٢– H.Bissuel , Les Touarg De I'Ouest , Librairie De I'Academie , Algeria , 1888, P.91; اسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٢، ص١١٦.

٢٣– المصدر نفسه، ص١١٦.

٢٤– عبد القادر جامي، المصدر السابق، ص١٧٠.

٢٥– إسماعيل العربي، المصدر السابق، ص١٨٥.

٢٦- عبد العليم عبد الرحمن خضر، التراث الثقافي للأجناس البشرية في أفريقيا الأصالة والتجدد، ط١، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ١٩٨٥، ص١٩٤؛ بشار أكرم الملاح، التحولات التي أحدثها الإسلام في المجتمع الأفريقي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢، ص٩٤-٩٦.

٢٧- ألبرت شفيتزر، حكايات افريقية، ترجمة محمود إبراهيم الدسوقي، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٦٤.

٢٨- عبد الرحمن عمر الماعي، المجتمع التشادي في عهد الاحتلال الفرنسي ١٩١٨-١٩٦٠، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٤، ص٨٧-٨٨؛ Victor Largeau , Le Sahara Algérien , Librairie Hachette Et Cie , Paris, 1881,PP.82-83.

٢٩- محمد سعيد القشاط، التوارق عرب الصحراء الكبرى، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط٤، ٢٠٠٨، ص ١٤٧-١٤٨.

٣٠- الميجور دنهام وآخرون، رحلة لاستكشاف أفريقيا، ترجمة عبد الله عبد الرازق إبراهيم، ج١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢.، ص٦٦.

٣١- الهادي المبروك الدالي، المصدر السابق، ص ٣٤١؛ نجمي رجب ضياف، مدينة غات وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر الميلادي، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط١، ١٩٩٩، ص٢٦٣.

32- Henri Duveyrier , Op.Cit., P.433.

33- Paul Vermale , Au Sahara Pendant La Guerre Européenne , Editions Jacques Gandini, Paris , 1921, PP.200-203.

٣٤- الهادي المبروك الدالي، المصدر السابق، ص٣٣٨-٣٤٠.

٣٥- محمد السويدي، بدو الطوارق بين الثبات والتغير دراسة سوسيو أنثروبولوجية في التغير الاجتماعي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص٢٢٨.

٣٦- جيمس ريتشاردسن، المصدر السابق، ص١٠٠.

37- Paul Vermale, Op. Cit. , p.202.

38- Felicitas D.Goodman , Ecstasy Ritual And Alternate Reality Religion In A Pluralistic World , First Midland Book Edition , Indiana, 1988, P.148.

٣٩- حسن عبد الرزاق منصور، العرب والصحراء رأي في الأيكولوجيا الثقافية والسياسية أسس ثقافة الهزيمة، أمواج للطباعة والنشر، الأردن، ٢٠١٤، ص٢٩.

٤٠- محمد مصباح معمر المزوغي، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لإقليم برقة (١٩٤٣-١٩٥١)، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠١٦، ص٨١.

٤١- أهقارن: جمع أهقار نسبة إلى جبل أهقار الشاهق المنتصب في وسط الصحراء وبه سمي عامة سكان الإقليم ويقول الطوارق أن هذا الإقليم الأوسط هو المكان الذي تفرعت منه قبائلهم في الأصل وتوزعت باتجاه الغرب والجنوب خلال أزمنة ماضية لم تعرف بعد. ينظر: الشاوي اللالة البكاي اماهين، الطوارق عبر العصور، تحقيق إصلاح محمد البخاري حمودة، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط١، ٢٠٠٧، ص٢٦١.

٤٢- محمد سعيد القشاط، المصدر السابق، ص٧٥-٧٦.

٤٣- يسرى عبد الرازق الجوهري، شمال إفريقية دراسة في الجغرافية التاريخية، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، ١٩٧٠، ص٢٣٠.

44- Victor Piquet , Les Civilisations De i'afrique Du Nord Berbéres Arabes Turcs , Librairie Armand Colin , Paris , 1909, P.378; H.Bissuel , Le Sahara Français , P.91.

45- Henri Duveyrier , Op.Cit. , P.370.

٤٦- إسماعيل العربي، المصدر السابق، ص٣٤؛ E.F.Gautier , Le Sahara , Payot , Paris, 1950, PP.211-212

47- Helene Claudot Hawad , Les Touaregs En Fragments , Edisud Aix En Provence , Paris , 1993, P.19.

48- Friedrech Sieburg , Visage De la France En Afrique Traduit De I'Allemand Par Maurice Betz , Les Editions Magnard , Paris , 1948, P.134.

49- M. H. Lelonge, Le Sahara Aux Cent Visage , Editions Alsatia , Paris , 1945,p.132.

50 - Charles Grémont , Les Touaregs Iwellemmedan 1647-1896, Karthala , Paris , 2010, P.186.

51- Henri Duveyrier , Op. Cit. PP.9-10; Maurice Wahl , I'Algérie , Editeur Félix Alcan , Paris, 1889,P.55.

٥٢- عبد الجليل الطاهر، المجتمع الليبي دراسات اجتماعية وأنتروبولوجية، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٩، ص١١٤.

53- Hureiki Jacques , Les Médecines Touareges Traditionnelles , Kharthala , Paris , 2000, P.29.

54- Edmond Bernus , Les illabakan , O.R.S.T.O.M, Paris , 1974 , P.32; Marty Paul And Mangeot, Les Touareg De La Boucle Du Niger , In Journal

Bulletin Du Comité D'Etudes Historiques Et ScienTifiques De l'A.O.F, Vol.3, N.3 , Paris,1918 , PP.87-93.

٥٥- إبراهيم العيد بشي، طاسلي ناجر الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمع التارقي قديمًا وحديثًا، ج٣، دار الحبر، الجزائر، ٢٠٠١، ص٨٢.

56- Paul Gaffarel , I'Algérie Conquise Depuis La Prise De Constantine Jusqu'à Nos Jours , Librairie De Firmin Didot , Paris , 1889, P.154.

٥٧- الشاوي اللالة البكاي اماهين، المصدر السابق، ص٢٦٢-٢٦٣.

58- Paul Vermale , Op. Cit. P.34.
59- Henri Duveyrier , Op. Cit , PP.335-336.
60- Henri Lhote , Op.Cit. , P.163.
61- Henri Lhote, Op.Cit. , P.167.
62- Hsain Ilahiane, Historical Dictionary Of The Berbers Imazighen , Published By Rowman And Littlefield , London , 2017, P.106.
63- Johannes Nicolaisen , Ecology And Culture Of The Pastoral Tuareg , National Museum Of Copenhagen , Denmark , 1963 , P.170.
64- Hureiki Jacques , Op.Cit. , P.30.
65- Henri Duveyrier , op.cit , p.333.
66- Henri Lhote , Op.Cit. , P.164.
67- Hureiki Jacques , Op.Cit. , P.30.
68- Joseph C.Berland And Aparnarao, Customary Strangers New Perspectives On Peripatetic People In The Middle East Africa And Asia British Library Cataloguing In Publication , London , 2004 , P.145.
69- Lisa Bernaseke , Artistry Of The Everyday Beauty And Crafts Manship In Berber Art , Library Of Congeress Cataloging, Massachusetts , 2007,P.46.

٧٠- عبد القادر جامي، المصدر السابق، ص١٦٤.

71- Attilio Gaudio , Le Sahara Des Africains , Marabout Université , Paris , 1967, P.26.
72- Henri Lhote , Op.Cit. , PP.209-212.

٧٣- واضح الصمد، الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١، ص١٥.

74- Anja Fischer And Ines Kohl , Tuareg A Globalized World Saharan Life In Transition, I.B.Tauris Publishers , London, 2010, P.110.

٧٥- عدنان مراد، المجتمعات الأفريقية أصولها تاريخها وشعوبها وثقافتها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٥، ص٤٩.

٧٦- مؤيد محمود حمد المشهداني وسلوان رشيد رمضان، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني ١٥١٨-١٨٣٠، الدراسات التاريخية والحضارية (مجلة)، المجلد الخامس العدد١٦، تكريت، نيسان ٢٠١٣، ص٤٢٦-٤٢٧؛ H.Bissuel , Les Touarg De l'Ouest , P.22.

77- Maurice Benhazera ,Six Mois Chez Les Touareg Du Ahaggar, Typoraphie Addlphe Jourdan , Alger ,1908, P.23.

78- Benedetta Rossi , The Keita Project An Anthropological Study Of International Development Discourses And Practices In Niger, Thesis Doctor London Svhool Of Economics And Political Science,university Of London, 2002,P.81.

79- G.Demage , àtravers Le Sahara , Librairie Hachette , Paris, 1903, P.104.

٨٠- علي ماء العينين، الترحال والممارسة الرعوية بمنطقة تيرس، بحث منشور بكتاب الديناميات الاجتماعية وافق البحث بالصحراء، مركز الدراسات الصحراوية، الرباط، ٢٠١٦، ص٢٠٩-٢١٠؛ بنعلي محمد بوزيان، واحة فكيك تاريخ وإعلام، مؤسسة بنشرة للطبع، المغرب، ١٩٨٧، ص٦.